Journal of Alasmarya University
Volume 9, June 2008
مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد التاسع، يونيو 2008

قبيلة قريش
قراءة في ملامح حياة القبيلة العربية
من عصر ما قبل الإسلام إلى الهجرة النبوية

أ. إدريس مفتاح حمودة*

مقدمة

تعد قبيلة قريش من القبائل العربية التي برزت في تاريخ ما قبل الإسلام، وازدادت أهميتها ومكانتها بعد مولد الرسول ﷺ وبعثته برسالة الإسلام، وقد كان لها أثر كبير في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مكة، حيث تمكنت أن تكون مؤسسة سياسية منظمة من خلال وظائف مهمة، تمثلت في دار الندوة والسقاية والرفادة واللواء وذلك في عهد قصي بن كلاب، الأمر الذي جعلها تتبوأ هذه المنزلة دون سواها من القبائل الأخرى المتناثرة في الجزيرة العربية قبل الإسلام.

ومن هنا يدرك المرء أن قريشاً كانت نواة لتطوير الحياة العربية عبر مراحل متعددة إلى أن التأمت مع القبائل الأخرى بفضل الإسلام فكونت دولة عربية إسلامية بعد الهجرة النبوية الشريفة، لذلك فإن هذه الإضاءة البحثية حاولت من خلالها أن أتلمس بعض الحقائق التي تخص هذا الموضوع والبحث عن المعطيات التي تؤيد الفرضية التي أشرت إليها والسعي في محاولة الإجابة على الأسئلة الآتية:

- كيف استطاعت قريش أن تبرز في الجزيرة العربية وتؤول إليها أمور مكة السياسية والاقتصادية والاجتماعية؟

---

* الجامعة الأسمرية.

- ما العوامل التي جعلت من قريش أكبر تجار العرب قبل الإسلام؟
- هل هناك منافس لقريش على حكومة مكة؟ وكيف كانت طبيعة تلك الحكومة؟
- ما أبرز ملامح الحياة الحضارية التي أسهمت فيها قريش قبل الإسلام؟
- كيف كانت أوضاع قبيلة قريش بعد الإسلام؟ وما موقفها من الدين الجديد؟

وقد قسمت هذا البحث إلى محورين كما يلي:

المحور الأول: قبيلة قريش قبل الإسلام

تناولت من خلاله دراسة أحوال قبيلة قريش ونشأتها والتئامها في مكة ومن ثم التطرق إلى التطورات التي شهدتها بعد ذلك من خلال مطلبين هما:

أ. الواقع السياسي والاقتصادي
ب. الواقع الاجتماعي والثقافي

المحور الثاني: قبيلة قريش بعد الإسلام

اختص هذا المحور بدراسة أحوال قبيلة قريش بعد الإسلام من خلال مطلبين هما:

أ. موقف قريش من بعثة النبي ﷺ.
ب. انتقال قريش إلى المدينة وبداية نشوء الدولة.

أولا: قبيلة قريش قبل الإسلام

أ. الواقع السياسي والاقتصادي

إن التكوين السياسي للعرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام قائم على أساس الانتماء القبلي، أي أن الفرد لا مكان له إلا من خلال قبيلته، والقبيلة قد تتمتع بنفوذ قوي عن طريق عقد الأحلاف مع غيرها من القبائل، وقد تضعف بسبب خروجها من الأحلاف أو لقلة إمكاناتها الاقتصادية.

ومن جانب آخر فإن العصبية القبلية كانت تمثل طابع العلاقات الاجتماعية والسياسية، إذ أن التعصب القبلي قائم على أساسين:

أولهما: عصبية الرحم ونواتها ذوو القربى من الدرجة الأولى

ثانيهما: عصبية القبيلة التي تجمع أفراد العشائر المنحدرين من صلب جد واحد أو القبائل

المنتسبة إليه[1].

وبالنظر إلى تكوين قريش على هذا النحو، فإن التسمية ذاتها (قريش) قد خاض فيها الكثير من النسابة والمؤرخين، فبعضهم يرى أنها لقب لفهر، وبعضهم ينسبها إلى قصي باعتباره مجمعاً لقريش، وبعضهم من يزعم أنها مشتقة من التقرش وهو التكسّب والمال، ولكن الراجح أن قريشاً قبيلة تنحدر من ولد النضر وهو جد فهر، فقد سئل الرسول ﷺ من هم قريش فقال: « من ولد النضر »[2].

ولكن ظهور هذا التكوين القبلي لم يُعرف إلا في عهد قصي بن كلاب[3]، الذي استطاع أن يجمع قريشاً في مكة ويتخذها مركزاً له، نظراً لما تمثله الأخيرة من أهمية كبيرة من الناحيتين الدينية والاقتصادية، وكان التنازع على مكة قد ظهر بين قصي بن كلاب من ناحية وقبيلة خزاعة من ناحية أخرى، حيث كانت الأخيرة قد ملكت زمام الأمر في ولاية البيت لمدة ثلاثمائة سنة[4]، وقد أدت الظروف السياسية والاجتماعية إلى بروز قصي بن كلاب في قومه، إذ أدرك أنه من مصلحة قبيلته تجميعها في مكة، فعمل على ذلك حتى أصاب ملك مكة، وكانت قريش قبل ذلك عشائر متناثرة لا تجمعها وحدة مكان، الأمر الذي جعلها مقسمة إلى وحدات (عشائر) متباعدة ومتنافرة.

وكان دافع قصي من تجميع بنى قومه إثبات انتمائه لقبيلته، إذ كانوا يعيبون عليه في نسبه لأنه عاش بعيداً عن قبيلته، وقد وقع بينه وبين ربيعة شيء من الخصام، إذ كان لا يعرف لنفسه أباً غير ربيعة، فرجع قصي إلى أمه وشكا لها ما قيل له، فقالت له: يا بني أنت أكرم منه نفساً وأباً، أنت بن كلاب بن مرة، وقومك بمكة عند البيت الحرام، والعربي يعتز بقبيلته التي ينتمي إليها دائماً، لذلك كان هذا السبب الاجتماعي هو الذي حدا بقصي بن كلاب على الرجوع إلى قومه وعشيرته[5].

ويبدو أن خزاعة كانت تمر بمرحلة ضعف عند قدوم قصي بن كلاب إلى مكة،

1- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 4، ص 212-213.

2- ابن كثير، البداية والنهاية، ج 2، ص 200-201. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 1، ط 9، ص 46-47

3- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص 255.

4- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، ص 58-59. الأزرقي، أخبار مكة، ج1، ص 103.

5- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 16، ص 20. الطبري، المصدر السابق، ج 2، ص 255.

وقد أشارت بعض المصادر إلى ذلك بالقول: « كان عمرو بن لحي قد جعل ولاية البيت إلى ابنته حبّى، وعهد إلي رجل يقال له أبو غبشان الخزاعي فتح باب الكعبة وغلقه، فباعه أبو غبشان إلى قصي بن كلاب ببعير وزق خمر فأرسلت العرب ذلك مثلاً، فقالت: أخسر من صفقة أبي غبشان »[6] عند ذلك تهيأت لقصي الفرصة للسيطرة على مقاليد الأمور في مكة، سيما وأنه قد تزوج حبّى بنت عمرو بن لحي التي كان والدها يلي أمر مكة، ورأى قصي أنه أولى بالكعبة من خزاعة وبنى بكر، فدعا رجالاً من قريش ليساعدوه على هذا الأمر، فوجد مبايعة من قومه[7]، ومن هنا تبدأ مرحلة تنظيم القبيلة كمؤسسة سياسية (القبيلة – الدولة)، فما هي الخطوات التي اتخذها قصي بن كلاب في سبيل تحقيق ذلك؟.

لما استقام أمر قصي على مكة أدخل من كان من غير قريش إلى القريشيين، وهذا يدل على أن القبيلة العربية تحوي غيرها من العناصر الأخرى التي هي خارج النسب المعروف، ثم بنى الكعبة ورتب قريشا على منازلها في النسب، وبين الأبطحي من الظاهري، فقريش البطاح هم عبد مناف، وبنو عبد الدار، وبنو عبد العزى، وزهرة، ومخزوم، وتميم بن مرة، وجمح، وسهم، وعدى، أما قريش الظواهر فهم بنو محارب، والحرث بن فهر، وبنو الأردم بن غالب بن فهر، وبنو هصيص بن عامر بن لؤي[8] وتعد قريش البطاح –الذين يسكنون بطاح مكة– لهم دور السيادة والريادة في مكة وكان منهم التجار الأثرياء، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن قريش الظواهر –الذين يسكنون بظاهر مكة– كانوا أقل شأناً من قريش البطاح، إذا أن أوضاعهم المادية لم تكن حسنة[9].

وبدأ قصي بن كلاب بتدعيم سيادة قريش، وذلك ببنائه دار الندوة في مكة، إذ كانت تمثل مجلساً يتألف من رؤساء العشائر ووجهاء سادة مكة، يلتئم ذلك المجلس متى ما استدعت الضرورة ذلك، فيجلس وجهاء القوم في دار الندوة للتشاور في الأمور الاجتماعية مثل فض النزاعات القبلية وقضايا العتق، والموالي ونحو ذلك، كما يتحدد موقف قريش السياسي من خلال مجلس دار الندوة كعقد الأحلاف أو عقد لواء الحرب،

6- المسعودي المصدر السابق، ج 2، ص 58. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص 66-73. النويري، المصدر السابق،ج 16، ص 21. الطبري، المصر السابق، ج 2، ص 256.

7- الطبري، المصدر السابق ج 2، ص 256.

8- المسعودي، المصدر السابق، ج 2، ص 58-59.

9- جواد علي، المصدر السابق، ج 4، ص 195.

ومساعي الهدنة أو السّلْم.

ويبدو أن نظام الحكم في مكة قبل الإسلام يمكن تحديد ملامحه من خلال ما تناولته المصادر وما استنتجه بعض الباحثين، فقد أشارت المصادر والمراجع إلى تأسيس قصي لدار الندوة، ووظائف الكعبة، وذلك من خلال النص الآتي: « كان قصي أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله، وأقطع مكة أرباعاً بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها »[10].

وتشير بعض المراجع إلى أن وظائف قريش في مكة تطورت إلى خمس عشرة وظيفة[11]. وكان الهدف من توزيع هذه الوظائف هو ترضية جميع بطون قريش، إلا أن الوظائف الأساسية بقيت لها الأهمية، إذ كان النزاع عليها بعد قصي بين أولاده عبد الدار وعبد مناف، وكادت أن تقع بينهم الوقيعة لولا الصلح الذي نشأ عنه فيما يعرف بالمطيبين[12] وقد بقيت دار الندوة بيد بنى عبد الدار حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار من معاوية، فجعلها دار الإمارة بمكة[13].

ومن خلال ما سبق يتضح أن قبيلة قريش أسهمت في استقرار الوضع السياسي بحكمة من خلال ظهور المؤسسة السياسية وتنظيماتها التي سبقت الإشارة إليها، ويرسم أحد الباحثين ملامح طبيعة نظام الحكم في مكة قبل الإسلام، فقد أشار إلى ذلك طه حسين بقوله: « لم يكن حكم قريش حكماً جمهوريا أو إستقراطياً، ولم يكن حكم طاغية يدير أمورها على رغمها، إنها كانت قبيلة عربية احتفظت بكثير من خصائص البادية، وكلُّ ما وصلت إليه قريش من تطور في شئون الحكم هو أنها لم يكن بها سيد أو شيخ يرجع إليه فيما يشكل من أمر، وإنما كان لها سادة أو شيوخ يلتئم منها مجلس في دار الندوة» ويمكن أن نستنتج من ذلك أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا مقلدين في إدارة شئون الحكم والسياسة لأنظمة بيزنطية مثلاً أو فارسية، بل كانت لهم خصوصية

10- الطبري، المصدر السابق، ج 2، ص 258. ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 87. ابن سعد، المصدر السابق ج 2، ص 21. النويري، المصدر السابق، ج 16، ص 29.

11- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج 1، ص 29-31

12- ابن سعد، المصدر السابق، ج 2، ص 2.

13- المصدر نفسه ج 2، ص 23.

مختلفة عن نظم الإمبراطوريات أو الأنظمة الملكية، وتلك الخصوصية تدل على حسن تدبير وابتكار لأداة الحكم التي كانت أقرب إلى نظام الشورى.

أما إذا نظرنا إلى الواقع الاقتصادي فإن قريشاً كانت قد عرفت التجارة منذ القدم، ويذكر اليعقوبي أن تجارة قريش كانت لا تعدو مكة إلى أن رحل هاشم بن عبد مناف إلى بلاد الشام ونجح في عقد معاهدة تجارية (الإيلاف) مع بيزنطة، وكانت بصرى هي المحطة الأخيرة لقوافل قريش والسوق الرئيسة للغلال بالنسبة للتجارة، وعقدت قريش معاهدات أخرى مع الحبشة وملوك غسان والحيرة، واحتكرت لنفسها تجارة الهند بفضل جهود زعيمها هاشم بن عبد مناف الذي يعتبر أول من سن رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة ورحلة الصيف إلى الشام والعراق[14]، وتوسعت التجارة القرشية في القرن السادس الميلادي، وسيطرت على طريق التجارة المار بغرب الجزيرة، ويرجع ذلك إلى عامل الصراع البيزنطي الساساني، الذي أدى إلى شل تجارة الهند إلى الخليج العربي، أضف إلى ذلك مشاكل طرق البحر الأحمر، وسقوط الدولة السبأية على يد الأحباش.

وأدى تطور التجارة في مكة إلى ثراء بعض الشخصيات مثل: عبد الله بن جدعان، والوليد بن المغيرة، وأبو سفيان بن حرب، ويشير بعض الكتاب الغربيين إلى أن آثار ذلك الثراء أدى إلى انقسام المجتمع إلى فئتين[15]، ويعلل بعضهم ذلك إلى الأسلوب الرأسمالي الذي اتبعته قريش في نشاطها التجاري[16]، ويبدو أن هذا التفسير قاصر عن الموضوعية باعتباره إسقاطاً لمصطلحات حديثة تمثل اتجاهاً فكرياً على مجتمع يختلف في بنيته الفكرية والاجتماعية والاقتصادية عن المجتمعات الحديثة.

إن من أهم أسباب التطور الاقتصادي الذي تمثله تجارة مكة هو تلك المكانة التي تمتعت بها قريش وبسط نفوذها على مكة التي تمثل أهم مركز تجاري لتبادل السلع والبضائع، وكسب ثقة التجار عن طريق المعاملة الحسنة التي عززتها إدارة القرشيين من أجل الحفاظ على سمعة تجارتها، لذلك فإن حلف الفضول كان دعامة في

14- عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط 3، ص 9-11. ابن هشام، المصدر السابق، ج 1، ص130-138. سهيل زكار تاريخ العرب والإسلام منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد، ط 4، ص 37.

15- ول ديورانت، قصة الحضارة، ج 13، ص 19-20.

16- مكسيم رودنسون، الإسلام والرأسمالية، ص 69-70.

هذا الاتجاه على أساس مناصرة المظلوم وضمان حقوقه المالية[17].

لـذلك، ازدهـرت الـتجارة في مكـة، ونظمت لها أسواقاً داخلية وأخرى خارجية، تخـتص بإقامـة أسـواق للتجارة الوافدة من خارج مكة، ومن بين الأسواق التي اشتهرت، سـوق عكاظ، وذو المجنة، ودومة الجندل، وغيرها، ونالت قريش نفوذاً كبيراً بين القبائل العـربية بسـبب أحلافهـا الـتي عقـدتها، وقيامها بوظائف خدمية مرتبطة بالحج والتجارة وهي السقاية، والرفادة، والحجابة.

وكانت القبائل الضاربة على جنبات الطرق التجارية ترى مصالحها مرتبطة بمكة، فـرخاء مكـة يعني رخاءها وخسارة مكة تعني خسارتها، وقوّى شعور التضامن مع مكة تلـك المحالفـات القائمـة على المصاهرة بين أبرز رجال مكة ومختلف القبائل العربية، وكـان زعمـاء القبائل يشاركون مشاركة مادية في قوافل مكة التجارية[18]، ومن هنا كان في اسـتطاعة أهـل مكة أن يستأجروا المحاربين للدفاع عنهم مثل الحلفاء الذين يسمون بالأحابيش، إلا أنـنا نلحظ أن تلك الأحلاف كانت جزئية، أي بمعنى أن جزءا من قبيلة يـتحالف مع جزء آخر من قبيلة أخرى، مثل حلف الفضول الذي تكوّن من بني هاشم، وبنى المطلب، وبني زهرة، وبني تميم، ولم تظهر التحالفات بين قبيلة قريش وغيرها من القـبائل الأخـرى إلا بعـد البعـثة النـبوية مـثل حلف قريش وهوازن وثقيف خلال السنة الثامنة للبعثة النبوية.

ب. الواقع الاجتماعي والثقافي

بالنظـر إلى مـا كتـبه المؤرخـون عن مجتمع ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية، فإننا نجد أن طبيعة ذلك المجتمع تنحصر بنيته الاجتماعية في ثلاث طبقات أولها: أبناء القبـيلة الصـرحاء، وثانـيها: طـبقة الموالي الذين اندمجوا في القبيلة عن طريق الحلف أو الجوار، و ثالثها طبقة العبيد والرق[19]، وينسحب ذلك على قبيلة قريش التي تتكون من طـبقة الأغنـياء ويمثلهم قريش البطاح أي صرحاء النسب ومن بينهم عبد الله بن جدعان، وأبو سفيان بن حرب، وغيرهم، وأما طبقة الموالي فكانوا من الفئات التي لا شأن لها إلا مـن خـلال انـتمائها إلى إحـدى القبائل، في حين أن الطبقة المعدمة يمثلها العبيد الأرقاء

17- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص 41 ابن حبيب، المحبّر، ص 167-168.

18- أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ط2، ص 142-144.

19- السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 383

الـذين يشـترون مـن سـوق النخاسـة، وكـان مـن أشـهر النخاسين في قريش عبد الله بن جـدعان، واشتهرت تجارة الرقيق في مكة وراجت رواجاً كبيراً مثل التجارة في أي سلعة أخرى[20].

أمـا مـن ناحـية العـادات والتقالـيد فإن قريشاً كانت قد اكتسبت الكثير من تقاليد الشـعوب الـتي اخـتلطت بهـا مـثل الـروم والفـرس، وقلـدوهم في بعـض اللباس والزي والطعـام، ويذكـر أن عـبد الله بـن جـدعان أتـى إلى قـريش بطعام لا عهد لهم به يسمى الفالـوذج الفارسـي[21] وهـذا يدل على تفاعل العرب من قريش مع حضارات الشعوب الأخرى إذ لم تكن منعزلة عن محيطها.

وقـد بـرزت بعـض المآخـذ علـى الحـياة الاجتماعـية في قـريش ومن ذلك وأد البنات، إذ كانت الأنثى تدفن حية وذلك لبعض الأسباب منها:

1. أن سـبب الوأد يرجع إلى شعور العربي قبل الإسلام بالخوف من العار نظراً لتفشي الزنا بين المجتمع ويرون أن وجود الأنثى يجلب العار إذا كبرت.
2. بعضهم من يئد ابنته خشية الفقر.
3. بعضـهم من يئد ابنته بسبب صفات في الموءودة إذا كانت زرقاء أو شيماء (سوداء) أو برشاء (برصاء) أو كسحاء[22].

وكـان العربـي في عصـر مـا قـبل الإسـلام لا يكتفـي بـزوجة واحدة، إما بقصد إعالـتهن، أو لغـرض سياسـي عـن طـريق المصاهرة، أو بقصد الإكثار من الذرية، وكان الـزواج أنـواعاً، بعضه أبقى عليه الإسلام وبعضه حرمه، ومن تلك الأنواع، زواج الصداق أو الـبعولة، زواج المتعة، زواج السبي، زواج الإماء، زواج المقت (أن يتزوج الرجل امرأة أبـيه)، فضـلاً عـن أنـواع أخـرى مـن الزواج كانت معروفة قبل الإسلام إلا أن المجتمع القرشي لم يقرها مثل نكاح الاستبضاع، والمخادنة، والبدل، والشغار، والرهط.

وإذا نظرنا إلى أحد أنواع هذا الزواج وهو (السبي) فإنه لم يكن سائداً في قريش، وقـد أشـار إلى ذلك الحموي بقوله: « إن أهل الحرم (قريش) يغزون الناس ولا يغزون

20- السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 300.

21- المصدر نفسه، ص 386-387.

22- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 24.

ويسبون ولا يسبون، ولم تسب قرشية قط فتوطأ قهراً، ولا يجال عليها بالسهام»[23].

أما التعصب للقبيلة فهو سمة العرب والقرشيين بل هو غريزة في كل إنسان كما يقول ابن خلدون في ذلك: «ما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنصرة على ذوي أرحامهم وقرباتهم موجودة في الطبائع البشرية، ومهما يكون التعاضد والتناصر وتعظيم رهبة العدو لهم، اعتبر بذلك ما حكاه القرآن عن إخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لأبيه: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [يوسف: 14]» [24]، وقد حدثت نزاعات كثيرة بين قبائل العرب عرفت في المصادر العربية بأيام العرب كيوم داحس والغبراء، ويوم البسوس وغيرها وكانت تلك النزاعات لعدة أسباب منها:

1. سبب المفاخرة، كمثل ما حدث مع أحد زعماء كنانة في سوق عكاظ.
2. سبب الدفاع عن الشرف، كمثل ما حدث بين قريش وهوازن، إذ أن فتية من قريش تحرشوا بامرأة من هوازن فوقع النزاع.
3. سبب استرجاع مال، كمثل الذي كان بين رجل من كنانة ورجل من هوازن.
4. سبب الأخذ بالثأر، وهي عادة انتشرت بين العرب.

ورغم هذه المثالب التي اصطبغت بها الحياة الاجتماعية في مكة فإن هناك جوانب مضيئة تمثلت في بعض الآداب الاجتماعية، كالكرم، والشجاعة، والجوار، والامتزاج مع الوافدين إلى مكة للتجارة أو الحج، شكل ذلك ملتقى للحوار الثقافي، حيث يتناقلون الفنون الأدبية كالشعر والخطابة، لذلك كانت مكة بمثابة المنتدى الأدبي، الذي يجتمع فيه فرسان الكلمة من خلال سوق عكاظ يتبارون بقصائد الحماسة والفخر، والغزل، يختار ما يمتاز من بينها وتعلق على جدران الكعبة، فسميت بالمعلقات[25] واكتسبت قريش علوماً وافدة عليها مثل الطب والأنواء والكهانة والقيافة، فضلاً عن علوم العرب المعروفة كعلم الأنساب، والشعر، والخطابة[26].

أما مظهر الحس الديني فقد تجسد في عقلاء قريش، الذين عابوا على قومهم عبادة الأصنام، وكان من بينهم ورقة بن نوفل، وعبد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث،

23- الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 183.
24- ابن خلدون، المقدمة، ص 182.
25- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 1، ص 66-67.
26- جرجي زيدان، المرجع السابق، م 2، ص 12.

وزيـد بن عمرو بن نفيل، إذ كانوا قد رأوا قريشاً تجتمع يوماً في عيد لهم عند صنم من أصـنامهم كانـوا يعظمـونه، فقـال بعضـهم لـبعض تعلموا والله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين إبراهيم، وما حجر نطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع[27].

وكانت قريش تعظم الكعبة الشريفة، وتدرك مكانتها المقدسة حين أجمعت على هـدمها وإعـادة بـنائها، حـيث يذكـر أن أبـا وهـب بـن عمـرو بن عائذ بن مخزوم وجه نصيحته إلى قريش قائلاً: « يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً، لا يدخل في مهر بغى، ولا بيع رباً، ولا مظلمة أحد من الناس »[28].

أما المظهر الإنساني فترى ملامحه في الدفاع عن الأنثى الموءودة، والتي كانت من إحـدى العـادات السيئة لدى بعض القبائل العربية مثل: ربيعة، وكندة، وتميم، لكن أغلب باقي القبائل لم تكن تئد بناتها، بدليل فخر الشعراء بالمرأة إذ قال حسان بن العذير:

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم وهن البواكي والجيوب النواصح

وروى أبو الفرج أن معد بن أوس كان مئناثاً، وكان يحسن صحبة بناته وتربيتهن، وكـان في بعـض سـادات بنـى تمـيم من يعيبون وأد البنات بل ويقومون بتخليصهن من ذلـك الظلـم الوحشـي، وقـد اشـتهر بـذلك صعصـعة بن ناجية جد الفرزدق، حتى دعى بمحيـي المـوؤدات، والسـبب في ذلـك أن صعصـعة مر برجل يحفر ليئد ابنته فسأله أن يستبقيها مقابل أن يعطيه ناقتين عشراوين[29].

وإذا نظـرنا إلى عـادة شـرب الخمـر في عصـر ما قبل الإسلام، فقد كانت إحدى مظاهـر حـياة ذلـك العصر في مجتمع قريش، ولكن لا يعني هذا أن ننفي وجود بعض الفـئات الـتي عاشـت في ذلـك الوسط الاجتماعي دون أن يعرف عنها شرب الخمر، بل هـنالك من أدرك ضررها فحرمها على نفسه، وتذكر إحدى المصادر أن سبعة وعشرين رجـلاً مـن قـريش حـرموا الخمـر والأزلام، ومـن بـين أولـئك، عبد المطلب بن هاشم، وعـثمان بـن عفان، وعبد الله بن جدعان، والعباس بن مرداس السلمي، وأبو ذر الغفاري،

27- ابن هشام، المصدر السابق ج 1، ص 242.

28- المصدر نفسه، ج 1، ص 210.

29- أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ج1، ص 152-153.

وقس بن ساعدة[30].

ومن خلال ما تمت الإشارة إليه فإنه من الممكن رسم صورة عامة عن الواقع الاجتماعي والثقافي في قريش، والذي طالما تعرضت لذكره بعض الأقلام بشيء من التحامل غير الموضوعي، برسم صورة قاتمة عن حقيقة مجتمع قريش في مكة قبل الإسلام من خلال إصدار أحكام مسبقة، ولعل هذه بعض الأدلة التي تكشف الستار عن حقيقة ذلك المجتمع الذي تمتّع ببعض السمات الحضارية برغم تلك الشوائب التي لا تخفى عن الأذهان ولا تهملها الأقلام والأسفار، لذلك ليس من المنطقي أن يوصف عصر ما قبل الإسلام بالعصر الجاهلي إذا كان المقصود بالجهل تلك الصورة المظلمة بكل ما تحمل هذه الكلمة من دلالات ومعاني، ولعل ذلك الوصف يقصد به جهل مجتمع مكة بالعقيدة والفراغ الفكري والروحي، وضلالهم عن حقيقة التوحيد، ولم تكن جاهليتهم في المطلق برغم ما عرف عن ذلك المجتمع بالأمية الغالبة عليه، ولكن لا يعني هذا أنهم لم يتمتعوا بقدر من الحضارة والثقافة وإن كانت يسيرة من خلال أهم مركز حضاري في شبه الجزيرة العربية وهو مكة.

ثانيا: قبيلة قريش بعد الإسلام

أ. موقف قريش من بعثة النبي ﷺ

تمثل بعثة النبي ﷺ بداية تأسيس قيم أخلاقية ودعوة لثورة على واقع اجتماعي ساد فيه الظلم والفساد، وقطيعة الرحم، وارتكاب الفواحش والآثام، لذلك بدأت الدعوة الإسلامية سراً، ثم أمر الرسول ﷺ أن يصدع بدعوته، فخرج إلى جبل الصفا وهتف في الناس فقال: يا بنى فلان، يا بنى عبد المطلب، يا بنى عبد مناف، فاجتمعوا إليه، عندئذ قال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدقى؟ قالوا نعم، ما جربنا عليك كذباً، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك أما جمعتنا إلا لهذا[31] فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1].

وكانت قريش قد اتخذت موقفاً عدائياً من دعوة الرسول ﷺ عناداً وتكبراً، إذ يقول ابن هشام « لما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق، وعرفوا صدقه فيما

30- ابن حبيب، المصدر السابق، ص 237-238.

31- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 2 ص 60.

حدّث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب -حين سألوه عما سألوه عنه – حال الحسد منهم له بينهم وبين اتّباعه وتصديقه، فعتوا على الله وتركوا أمره عياناً، ونجوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم: ﴿لَاتَسْمَعُوالِهَذَاالْقُرْآنِوَالْغَوْافِيهِلَعَلَّكُمْتَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26] أي اجعلوه لغواً وباطلاً واتخذوه هزؤاً لعلكم تغلبونه بذلك، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غلبكم»[32].

ويذكر أن بعضاً من قريش قد أقر بحقيقة صدق نبوة الرسول ﷺ وأعلنها ذلك في ملأ من قومه، دون أن يقر بالإيمان، منهم الوليد بن المغيرة إذ قال: «والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لصدق، وإن فرعه لنجاة»[33]

وكان موقف أثرياء قريش من دعوته ﷺ موقف الجحود والحسد، إذ كانوا يرون أن تكون النبوة منهم كما أخبر القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوالَوْلَانُزِّلَهَذَاالْقُرْآنُ عَلَىرَجُلٍمِنَالْقَرْيَتَيْنِعَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31] لذلك، كان تكذيب تلك الفئات لدعوة النبي ﷺ يعبر عن موقف العناد والكفر، فهم لم ينكروا الإسلام لأنه دين، بل لأنه يحمل قيماً تؤسس لنظام اجتماعي جديد، يدعو إلى نبذ عبادة الأصنام، وإقامة العدل في الأخذ والعطاء والبيع والشراء، وإذا كانت قريش قد اشتهرت بالتجارة الربوية في معاملاتها التجارية، فإن الإسلام قد نهى عن ذلك الظلم، تسفيهاً لأمانيهم وأطماعهم وطغيانهم، وإقامةً للحق والعدل فيما يتعلق بأحكام المعاملات، فكانت ردة فعلهم هي الوقوف ضد هذه الدعوة.

وأمام تزايد أعداد المؤمنين بدعوة الإسلام، استعملت قريش وسيلة المفاوضة والتهديد كأسلوب لمنع انتشار الدعوة، فجاء وفد إلى أبي طالب فقالوا له: إن لك نسباً وشرفاً فينا، وإن ابن أخيك هذا يسب آلهتنا ويسفه أحلامنا، ويرمينا بالضلالة، فإما أن تكفه عنا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين، وعظم على أبي طالب الوقوف ضد قومه، فأعلمه ما قالت قريش وقال: أبقِ على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أن عمه قد خذله، فقال: يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك

32- ابن هشام، المصدر السابق، ج 1، ص 335. كذلك الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ج 1، ص 143-145.

33- ابن هشام، المصدر السابق، ج 1، ص 283-284.

دونه، فعند ذلك قال: اذهب يا بن أخي وقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لأحد أبداً[34].

وكان أبو طالب يخشى على ابن أخيه من قريش، فتولى حمايته بعد أن كفل طفولته ومن الطبيعي أن يحتاج رسول الله ﷺ إلى من يسانده ويحميه في بداية دعوته إلى الدين الجديد كشأن الأنبياء السابقين، وفي ذلك يقول ابن خلدون: « إن كل أمر تحمل عليه الكافة لا بد له من عصبية، وفي الحديث: "ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه" وإن كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد، فما ظنك بغيرهم أن لا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية »[35]

ولما رأت قريش منعة الرسول ﷺ من قبل عمه أبي طالب، عمدت إلى إيذاء كل من أسلم، إذ كان رؤساء قبائل قريش يعذبون من لا منعة له، ويؤذون من لا يقدرون على عذابه، وأمام هذا الأمر دعا أبو طالب بني هاشم وبنى المطلب للذود عن رسول الله ﷺ ومناصرته فأجابوه لذلك إلا ما كان من أبي لهب[36].

ويبدو واضحاً من خلال ما تذكره المصادر أن قريشاً كانت قد انقسمت بين مؤيد لدعوة الرسول ﷺ وبين معارض لها، ففي حين وقف بنو هاشم وبنو المطلب مساندين للدعوة النبوية بحكم الحمية المتأصلة بين ذوي القربى، فإن بطون قريش الأخرى كانت لها مواقف العداء والإيذاء الذي اشتد ضد المؤمنين بالدعوة، الأمر الذي شكل خطورة على مصير الإسلام ودعوته، فنتج عن ذلك هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة للخروج من تلك الأزمة وذلك الصراع غير المتكافئ بين الطرفين، ولكن هل تركت قريش المسلمين يهاجرون دون ردة فعل منهم؟

إن قريشاً ترتبط بصلات وثيقة مع الحبشة، إذ كانت بينهما أحلاف، أسهمت في تنشيط الحركة التجارية بين الطرفين، حتى وصفت أرض الحبشة بأنها متجر لقريش[37] لذلك لجأت الأخيرة إلى اتخاذ تلك العلاقة مظلة لتنفيذ خطة القضاء على المسلمين

34- الطبري، المصدر السابق، ج2، ص 323، ابن الأثير، ج2، ص 64، الذهبي، المصدر السابق، ص 146-150.

35- ابن خلدون، المقدمة، ص 159.

36- ابن هشام، المصدر السابق، ج 1، ص 281 الطبري، المصدر السابق، ج2، ص 327. ابن الأثير المصدر السابق، ج 2، ص 65. ابن حزم، جوامع السيرة، ص 54-55.

37- الطبري، المصدر السابق، ج 2،ص326-328.

حتى تطمئن إلى استمرار تجارتها، ويتضح ذلك فيما يلي:

1. التجأت قريش إلى محاولة استرجاع المسلمين إلى مكة: وبعثت الهدايا إلى النجاشي ملك الحبشة، طمعاً في موافقته لمطلبهم، إذ كانوا يأملون أن يتم لهم ذلك الأمر.
2. بعد فشل قريش استرجاع المسلمين من الحبشة، عقدوا العزم على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة إيذاناً بتنفيذ ذلك الأمر.
3. أشاعت قريش خبراً بين المسلمين في الحبشة بأن قومهم في مكة قد دخلوا في الإسلام، فعاد منهم قوم وتخلف قوم آخرون، ولما قرب المسلمون الذين كانوا في الحبشة من ديارهم بمكة بلغهم عدم صحة ما سمعوه، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفياً[38].

ونستنتج من ذلك أن رجوع المسلمين إلى مكة كان عملاً محفوفاً بالمخاطر، لأنه شكل خطراً على حياتهم، ولم يكن أمامهم إلا الدخول في جوار من أجارهم لاستبعاد بطش قريش بهم، وقد تحدثت بعض المصادر عن بعض المجيرين، حيث يذكر أن عثمان بن عفان دخل في جوار أبي أحيحة، فأمن بذلك، ودخل حذيفة بن عتبة بجوار أبيه، ودخل عثمان بن مضعون بجوار الوليد بن المغيرة[39]

إن عامل القرابة ورابطة الدم قد أتاح الفرصة لمن ذكرنا بالدخول في جوار أقربائهم داخل مكة إلا أنه لم يطل مكثهم ومقامهم بمكة، لأن الكثير من المسلمين كانوا يؤذون من قبل قريش، فلما رأوا ذلك رجعوا مهاجرين إلى الحبشة فخرج جعفر بن أبي طالب، وتتابع المسلمون معه قاصدين أرض الحبشة في عدد يقدر بثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة، وهي الهجرة الثانية إلى الحبشة[40]. وهي الهجرة التي سبقت الهجرة إلى المدينة المنورة التي يبدأ فيها دور جديد لقريش باعتبارها تمثل بداية نشؤ الدولة في مجتمع المدينة.

ب. انتقال قريش إلى المدينة وبداية نشوء الدولة

تمثل الهجرة النبوية إلى المدينة بداية مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة، وتكوين

38- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 2، ص 79-80.

39- المصدر نفسه، ج 2، ص 77-78

40- المصدر نفسه، ج 2، ص 88. أبو الفرج الحلبي، السيرة الحلبية، ج 1، ص 477

المجتمع الإسلامي من خلال بناء الدولة الإسلامية، لأن الدور المكي اقتصر على دعوة قريش إلى الإسلام وما صاحب ذلك من صعوبات أشرنا إلى بعضها فيما سبق، ولكن الهجرة كانت المقدمة الطبيعية لتأسيس الدولة.

ولم يكن بمقدور المسلمين قبل الهجرة تأسيس دولة لهم في مكة، ذلك أن المسلمين كانوا قلة مستضعفة أمام أغلبية من قريش كانت بيدها مقاليد الأمور، فكان منطقياً أن لا يكون للمسلمين دولة في مكة آنئذ لأن قيامها مقضي عليه بالفشل، ولما كان الإسلام دين الواقع الذي أمر بالأخذ بالأسباب التي لا تتنافى مع السنن الطبيعية، فقد أمر الله تعالى رسوله بالهجرة إلى المدينة لتكون للمسلمين منعة لهم من أعدائهم، وبذلك بدأت ملامح تأسيس الدولة في المدينة، حيث تركزت على ثلاثة أسس:

بناء المسجد في المدينة

إذ كان يمثل اللبنة الأولى في بناء الدولة، ففضلا عن كونه مكاناً للعبادة وإقامة الصلاة، فإن المسجد كان مدرسة لتعليم المسلمين أمور دينهم، ومنه ترسل البعوث إلى القبائل والأمراء والملوك لدعوتهم إلى الإسلام، وفيه تعقد المشاورات بشأن السلم والحرب، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بحياة المسلمين ومصيرهم.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كانت المؤاخاة مفهوماً جديداً لمجتمع قريش حينذاك، لأن طبيعة علاقات الفئات الاجتماعية كانت في معظمها قائمة على الصراعات، فجاء الإسلام ليذيب الفوارق بين مكونات المجتمع على أساس من الأخوة التي نادت بها الشريعة الإسلامية، لذلك نرى أن المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم لبعض كانت في مكة قبل قدومهم إلى المدينة[41]، ثم تلتها خطوة أخرى بعد الهجرة لتعزيز كيان المسلمين من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، لتحقيق قيم الحق والمساواة[42].

دستور المجتمع الجديد

كتب النبي ﷺ كتاباً نظم به حياة مجتمع المدينة وحدد من خلاله الحقوق

41- ابن حبيب، المصدر السابق، ج 1، ص 70-71

42- ابن سعد، المصدر السابق، ج 1، ص 238. النويري، المصدر السابق، ج 16، ص 347-348.

والواجبات وتضمن الكتاب أوضاع اليهود في المدينة واحتوى أحكاماً شملت تنظيم علاقات المسلمين فيما بينهم من جهة وعلاقتهم مع أهل الكتاب من جهة أخرى، ومن ضمن ما نص عليه الكتاب أنه ليس لمشرك في المدينة أن يجير مالاً لقريش ولا يحول دونه على مؤمن، ولا تجار قريش ولا من نصرها(43).

وبعد وضع أسس الدولة في مجتمع المدينة، رأى مشركو قريش في مكة أن هذا التطوير يمثل خطراً عليهم وعلى تجارتهم، لأنهم يرون التجمع من قومهم (قريش) في المدينة حاجزاً يقع على طريق التجارة بينهم وبين اليمن والحبشة، ومن الجدير بالذكر أن وقعة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة كانت بدايتها اعتراض عير أبي سفيان التي كانت تحمل تجارة قريش.

ومن ناحية أخرى فإن اندماج الأوس والخزرج (الأنصار) مع المهاجرين شكل دعماً وقوة لدولة المدينة، باعتبار أن الأنصار قد عاهدوا الرسول ﷺ على الطاعة والنصرة، وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم، وكانت تلك البيعة أساساً للترابط بين المهاجرين والأنصار في وحدة المصير والهدف التي رسم معالمها الإسلام، وأرسى مبادئها التي ترسخت في النفوس حيث تركزت في الآتي:

1. أن الولاء للأمة حل محل الولاء للقبيلة.
2. الأخوة الإسلامية هي أساس نظام العلاقات بين أبناء المجتمع الإسلامي الواحد.
3. أن الشورى هي الأسلوب الأمثل في اتخاذ مواقف مصيرية تهم شأن الأمة في حالة السلم والحرب وضمان للتوازن الاجتماعي.

أما الانتماء إلى القبيلة فقد ظل بعد الإسلام، وهذا يعني أن الإسلام لم يلغ كيان القبيلة بل هذّب أسلوب علاقاتها مع القبائل الأخرى على أسس سليمة قائمة على التعاون وحسن الجوار دون تعصب أو تحيز لمواقف معينة كانت سائدة قبل الإسلام، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَاالنَّاسُإِنَّاخَلَقْنَاكُمْمِنذَكَرٍوَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْشُعُوباًوَقَبَائِلَلِتَعَارَفُوا إِنَّأَكْرَمَكُمْعِنْدَاللَّهِأَتْقَاكُمْإِنَّاللَّهَعَلِيمٌخَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

وكانت بعض المسؤوليات توكل إلى رؤساء القبائل تعزيزاً لدورهم في صدر الإسلام، إذ يذكر أحد الباحثين أن رسول الله ﷺ يعهد جباية الفيء إلى الوافد إليه إذا كان

43- محمد عزة دورزه، تاريخ الجنس العربي، ج 6، ص 140-141

من رؤوس قبيلته[44]، ويدل هذا على بقاء التعامل مع القبيلة كوحدة صغيرة من مجتمع كبير هو الأمة.

وإذا أمعنّا النظر في كتابات المؤرخين وآرائهم رأينا أن تأثير تجمع قريش في المدينة كان له أثر فعال في نشوء كيان دولة المدينة، إذ أن هجرة القرشيين إلى المدينة كان قد بدأ قبل بيعة العقبة الثانية بسنة تقريباً، وشملت الأوائل من قريش وحلفاءهم ومواليهم، وتلتها هجرة الرسول ﷺ، وبعد ذلك توالت هجرة جماعية إلى المدينة مثل هجرة آل مظعون الجمحيين، وآل بكر، وحلفاء بنى عدي وغيرهم، ولم يبق أحد منهم بمكة حتى غلقت دورهم، وترتب على هذه الهجرة مشكلة توفير السكن لإيوائهم[45] لذلك عهد الرسول ﷺ إلى إنزالهم أفرادا وجماعات على بعض دور الأنصار، فكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على أنفسهم وهي تضحية كبيرة لأجل إخوتهم في الإسلام لم يشهد التاريخ نظيراً لها، وأروع التئام شهده العرب ولم يشهدوه من قبل.

خاتمة

من خلال ما استعرضناه في هذا البحث، نستخلص النتائج الآتية:

1. إن قبيلة قريش لم يجتمع شتاتها إلا في عهد قصي بن كلاب إذ كانت قبل ذلك عشائر متناثرة في شبه الجزيرة العربية، لذلك لم يكن لها شأن في تلك الفترة كتلك التي تمتعت بها خزاعة وبكر.
2. إن ظهور قبيلة قريش وقيامها بإدارة شؤون مكة السياسية والاجتماعية بدءاً بعصر قصي بن كلاب، وللمكان الذي تجمعت فيه دور مهم وهو (مكة) باعتبارها مركزاً تجارياً أسهم في تعزيز مكانة القرشيين من الناحيتين السياسية والاقتصادية.
3. إن قريشاً استفادت من وضعها في مكة، ففضلاً عن منافعها الاقتصادية التي تهيأت لها من خلال أسواق مكة فإنها أضحت مجالاً لتبادل الثقافات من خلال الوافدين إليها من الأمم والشعوب التي تأتي إلى مكة لغرض التجارة أو الحج.
4. إن بناء المؤسسات السياسية والاقتصادية التي نظمت شؤون مكة تعد بمثابة نظام الدولة أي (القبيلة – الدولة).
5. نظراً لتطور قريش النسبي من الناحية الثقافية فإنهم قد استطاعوا أن يحدثوا بعض

44- محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ج2، ط2، ص 94-95.

45- عبد الله عبد العزيز إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص 82-83.

التقدم في الجوانب الحضارية، وهي وإن كانت قليلة فإنها تدل على أن أميتهم لم تمنعهم من التألق والإبداع في مجالات الشعر والخطابة، ومحاولة تصحيح بعض العادات والتقاليد التي كانت سائدة آنئذ، لذلك فإنه لا يمكننا وصف عصر ما قبل الإسلام بالعصر الجاهلي لتلك الاعتبارات.

6. إن الإسلام قد نهض بقريش إلى مكانة أسمى وأرفع، وذلك أن الرسول ﷺ من قريش والقرآن الذي نزل على محمد ﷺ بلغة قريش.
7. كان العداء الذي واجهت قريش به دعوة الرسول ﷺ قائماً على عدم تقبلهم لدعوة الإسلام لأنه ثورة على الواقع الاجتماعي الذي كان سائداً على شكل نظم عقائدية واجتماعية واقتصادية، والخروج عن ذلك النمط هو خروج عن التقاليد والأعراف الموروثة التي ألفها القرشيون.
8. تعد بداية الهجرة النبوية بداية لتأسيس الدولية الإسلامية، إذ أن صحيفة المدينة بمثابة دستور للدولة الناشئة، وتحول الولاء للقبيلة إلى الولاء للأمة، وبقى الانتماء العرقي دون تعصب باعتبار الأخوة الإسلامية هي المظلة التي تجمع كل المسلمين على اختلاف انتماءاتهم وأعراقهم في وحدة عقائدية تجتمع فيها وحدة المصير والهدف الواحد.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. القرآن الكريم
2. ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1995.
3. الأزرقي، محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مكتبة خياط، بيروت، (د.ت).
4. ابن حبيب، أبو جعفر محمد، المحبّر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د. ت).
5. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، جوامع السيرة، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، مطبعة دار المعارف، القاهرة، (د.ت)
6. الحلبي، أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم، السيرة الحلبية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
7. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1975.
8. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
9. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985.
10. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (د. ت).
11. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر، بيروت، 1979.
12. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993.
13. المسعودي، علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، 1966.
14. النويري، شهاب الدين أحمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، (د. ت).
15. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د. ت).

ثانيا: المراجع

1. أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر،

القاهرة، (د. ت).
2. أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1949.
3. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
4. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت – دار النهضة، بغداد 1976.
5. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1975.
6. سهيل زكار، تاريخ العرب والإسلام منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، 1982
7. السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د. ت).
8. عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1980.
9. عبد الله عبد العزيز إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول، جامعة الملك سعود، الرياض، 1982.
10. محمد عزة دورزة، تاريخ الجنس العربي، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت).
11. محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1959.
12. مكسيم رودنسون، الإسلام والرأسمالية، دار الطليعة، بيروت، 1968.
13. ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت، 1988.